قلت: من بغداد، هربت منها لما رأيت فيها من الفساد، خفت أن يخسف
بأهلها. فقال: ارجع ولا تخف فإن فيها قبور أربعة من أولياء الله هم حصن
لهم من جميع البلايا! قلت: من هم؟ قال: الإمام أحمد بن حنبل، ومعروف
الكرخي، وبشر الحافي، ومنصور بن عمار! فرجعت وزرت القبور ولم أخرج
تلك السنة. وذكر عن آخر أنه قال: قبر معروف الكرخي الترياق المجرب.
وعن آخر أنه قال: قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج. قال: ويقال إن
من قرأ عنده مائة مرة «قل هو الله أحد» وسأل الله ما يريد
قضى الله له حاجته. وذكر عن آخر أنه قال: أعرف قبر معروف
الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرج الله همه. وذكر عن
آخر أنه قال: سمعت الشافعي يقول: إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى
قبره في كل يوم زائرا فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى
قبره وسألت الله الحاجة عنده فما تبعد عني حتى تقضى. ثم ذكر أي
الخطيب البغدادي أنه كان من هناك - أي في مقابر بغداد - قبر يسمى قبر
النذور كان الناس يزورونه ويتبركون به ويقصدونه لحاجاتهم و
كانوا ينذرون له فإنه ما يكاد ينذر له نذر إلا صح ويبلغ الناذر ما يريد من
ولزمه الوفاء بالنذر. وقد سامر هنا حكاية مطولة عن عضد الدولة البويهي
جاء فيها أنه نذر لهذا القبر عشرة آلاف درهم حاجة أن كان قد أهم
أمرا عظيما كان أهمه فكفى ذلك الأمر فأمر أن يحمل إلى القبر العشرة الآلاف
التي نذرها فحملت. وقريب من هذا الذي حكاه الخطيب البغدادي في التاريخ
ما حكاه غيره من أن الشيوخ الثلاثة: الطبراني وابن الشيخ وأبا بكر بن المقرئ
هبطوا المدينة المنورة فجاعوا فجاؤا القبر النبوي وشكوا إليه الجوع
فجاءهم غلام هاشمي ليلا يحمل إليهم الزاد ويخبرهم بأنه

رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في النوم فأمره بأن يحمل إليهم الضيافة
وقد تقدمت هذه الحكاية في الجزء الثاني من هذا الكتاب وتقدم الرد عليها
وقد ذكرها الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة ابن
المقرئ ولم ينكرها أو يضعفها. ولا ريب في أنه قد نقلت أشياء
غير قليلة من هذا القبيل عن بعض الشيوخ بل عن بعض أهل العلم والصلاح
ممن عرفوا بالصلاح والدين. وهذا شيء لا يمكن إنكاره كل مرة وآخرة
بل لا ريب في صحة بعضها عن بعض من تنقل عنهم. ولكن لا ريب في أن
هذا كله في لك للدين مصادم للأوليات والضروريات الأولى
وبطلان هذه الحكايات وخلافها للدين بل لكل دين لا يحتاج
إلى المناقشة والجدل والتطويل والاحتجاج ولا يخفى أمرها على من عرف شيئا
ما جاء به الكتاب والسنة في مسائل التوحيد وقضايا العقائد. بل غيره يجيب
عن هذه الروايات والحكايات جوابا مجملا فنقول إما أن تكون صحيحة ثابتة
عمن عزيت إليهم وإما أن تكون مكذوبة. فإن كانت مكذوبة فلا حجة
في الكذب، وإن كانت ثابتة صحيحة قيل في الجواب عنها: إنها خطأ من قائليها
يجب أن يرد عليهم وأن يحكم فيه الكتاب والسنة وأن يرجع إلى الكتاب والسنة
ولا يقوله قائل: إنه يلزم تقليد كل شيخ في هذه المسائل. والعلماء لهم أخطاء
وأغلاط وهفوات بالإجماع فهذه من عيوب أغلاطهم وأخطائهم وهفواتهم
إذا كانت صحيحة عنهم ثابتة من قولهم وفعلهم. وهي أشياء قد تقدم
حسناتهم وفضائلهم وصار فيهم الكثيرة الوفيرة وقد يغفرها الله لهم ولا
يؤاخذهم بها... ولكن الذنب الذي يحمل من يقتفي أثرهم في الصفح والغفران
ليعم من سدوا إلى كل خطأ وهفوة صدرت من كل عالم وكل شيخ وكل فقيه في باب